## المقدمة

تبدو شبه جزيرة سيناء كـ" الإسفين " الذي يفصل قارتي آسيا وأفريقيا، وهذا الوضع قد أكسبها أهمية استراتيجية وجيوبوليتيكية بالنسبة لمصر. ورغم هذه الأهمية لم تحظ سيناء بنصيب كبير من الدراسة العلمية في المجالات المختلفة، التي من بينها الدراسات التاريخية ، ولكن هذا لاينفي وجود عدد من الدراسات التي تناولت علي استحياء بعضاً من تاريخها عبر العصور، ومن بينها العصر الحديث ، ومع هذا فلازال هناك الكثير من الغموض بشأن تاريخ شبه جزيرة سيناء الحديث. كما أن مجتمع سيناء لم يحظ بالاهتمام الكافي من الدراسة لمعرفة الدور الذي ساهم به في تاريخ مصر الحديث .

ومنذ أن بدأت أولي خطوات هذا البحث، كان لدي العديد من التساؤلات ، وكان أهمها : ما الأثر الذي تركه افتتاح قناة السويس علي مجتمع سيناء ؟، وما هو موقع سيناء الإداري في المنظومة الإدارية لمصر في القرن التاسع عشر ؟ ، وما هي أسباب ظهور " مشكلة سيناء" بين مصر والدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر (عام ١٨٩٢ ) بهذا الشكل المفاجئ ؟ وغيرها من التساؤلات التي أثارت لدي الدافع لدراسة تطور هذه البقعة من أرض مصر في محاولة للإجابة علي هذه التساؤلات وغيرها . وهذه الدراسة هي محاولة لرسم صورة أقرب إلي الواقع عن حياة سكان شبه جزيرة سيناء ومشكلاتهم في الفترة مجال الدراسة. فخلال هذه الفترة كانت مصر تشهد مرحلة مهمة من مراحل تاريخها الحديث ، فكان من المهم دراسة وضع " الأطراف الحدودية " ــ إن جاز لنا التعبير ــ وعلاقتها " بالقلب " الذي تمثله السلطة المركزية ، وموقفها مما يحدث خلال هذه المرحلة .

وتبدأ هذه الدراسة بعام ١٨٦٩ وهو العام الذي افتتحت فيه قناة السويس أمام الملاحة ، والذي لاشك أن افتتاحها كان له أثره علي الوضع الاستراتيجي لسيناء ، وأثره أيضاً علي المجتمع الذي كان يرتبط بعلاقات وثيقة مع باقي المجتمع المصري في الوادي والدلتا ، ومن ثم كان افتتاح القناة نقطة تحول في تاريخ سيناء . بينما انتهت الدراسة بعام ١٩١٧ وهو العام الذي تم فيه إخلاء سيناء من القوات العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولي ، كما تأسست في العام نفسه مصلحة أقسام الحدود ،

وصارت سيناء وحدة إدارية ضمن هذا التشكيل الإداري الجديد الذي أقامته السلطات البريطانية لإحكام السيطرة علي مناطق الحدود .

ونظراً للطبيعة الخاصة التي تتسم بها سيناء من حيث التركيبة السكانية ــ المختلفة إلي حد بعيد عن تركيبة أقاليم الدلتا والوادي ــ والوضع الإداري الذي كانت عليه في تلك الفترة ، فقد كان البحث عن إطار منهجي يمكن أن يجمع كل الظواهر التاريخية المراد بحثها يشكل مشكلة حقيقية. فما يمكن أن يطبق من أطر نظرية علي الظواهر التاريخية في تاريخ مصر الحديث يصح أن تستخدم في الوقت ذاته مع باقي أقاليم مصر في الوادي والدلتا ، لكن هذه الأطر قد لا تصلح لدراسة تاريخ بعض البقع في أطراف مصر كمناطق الحدود ، نظراً لأنها لم تحظ بنصيب من حركة النهضة التي شملت أقاليم الدلتا والوادي ، فلم تتأثر بالحركة التاريخية لمصر، بل لا نبالغ إذا قلنا إن صانعي القرار في مصر علي مدي التاريخ الحديث قد تناسوا ــ بشكل ما ــ تلك البقع البعيدة عن مركز الإدارة والحكم في القاهرة . كما كانت ندرة المصادر التاريخية تشكل عقبة من العقبات التي واجهت البحث طوال مراحله المختلفة ، وخاصة ما يتعلق منها بالبدو ، حيث أنهم نادراً ما يسجلون تعاملاتهم اليومية في السجلات الرسمية للدولة ، لكن العثور علي محكمة العريش قد منح الباحث فرصة للبحث بين طيات سجلاتها عن المعلومات التي تعطينا ملامح صورة هذا المجتمع في فترة الدراسة .

وعلي هذا فقد قسمت هذه الدراسة إلي تمهيد وسبعة فصول بالإضافة إلي المقدمة والخاتمة، تناول **التمهيد** وضع سيناء في الفترة السابقة علي الفترة مجال الدراسة لأهمية ذلك في معرفة التطور الذي طرأ عليها .

ولهذا رأيت أن أبدأ **الفصل الأول** ــ الذي يبدأ مع الفترة مجال الدراسة ــ بـ **"التنظيم الإداري لشبه جزيرة سيناء"** علي اعتبار أنه يمثل الإشكالية الأكثر إلحاحاً في دراسة منطقة كسيناء ، حيث إن الإطار الإداري لسيناء في هذه الفترة خضع لنوع من الانكماش والتقلص الذي غير من الجغرافية الإدارية والبشرية لها ، وكان هذا الإطار مدعاة لنشوب صراعات حول ماهية الشكل الإداري لسيناء بين مصر والدولة العثمانية ، والذي ظل هلامياً في بعض مراحل هذا الصراع . لهذا حاولت أن أرصد التطور الذي طرأ علي الأشكال الإدارية التي وضعتها الحكومة المصرية في إطار محاولتها للسيطرة

علي هذه المنطقة الحدودية. ولهذا تناولت الأشكال الإدارية المختلفة التي أقامتها الحكومة المصرية في سيناء، فتطرقت بالدراسة إلي الإدارة العسكرية والمحلية والذي تناولت فيها " محافظة العريش " كأول شكل إداري أقامته الحكومة في سيناء منذ مطلع القرن التاسع عشر، كما تناولت الأساليب التي اتبعتها الحكومة للسيطرة علي أمن الطرق والحدود الشرقية وكيفية معالجتها لمسألة التهريب ، كما تطرقت إلي دراسة الأشكال الإدارية الأخري كقلاع وسط وجنوب سيناء وشمال الحجاز باعتبارها مراكز إدارية وعسكرية في هذه المنطقة من سيناء، ثم تناولت بالدراسة الإدارات الأخري كالإدراة المالية والقضائية والصحية والدور الذي لعبته في سيناء في هذه الفترة ، هذا بالإضافة إلي دراسة تطور إنشاء البريد والتلغراف الذي كان له أهميته في منطقة حدودية كسيناء ، وأخيراً موقف الإدارة الحكومية من العربان .

ولما كان من الطبيعي أن يتأثر إقليم كسيناء بالأحداث السياسية التي تمر بها الدولة الأم ، فقد جاء **الفصل الثاني** تحت عنوان " **مشاركة شبه جزيرة سيناء في الحياة السياسية** " والذي سلطت فيه الضوء علي دور سكان سيناء في حدث مهم كالثورة العرابية ، لأن هذا الدور سيوضح لنا " هوية " هؤلاء السكان السياسية والثقافية ، مسلطاً الضوء علي دور العربان والأهالي في تلك الثورة ، وموقفهم من بعثة بالمر التي أرسلتها بريطانيا لكسب تأييدهم إلي صفها . كما تناول هذا الفصل مشاركة أهالي سيناء في الحياة النيابية المصرية من خلال دراسة موقفهم من عملية التمثيل النيابي وردود فعلهم إزاء هذه الخطوة أو النقلة الحضارية المفاجئة التي لم تكن عقولهم قد تهيأت بعد لتقبلها.

وعلي الرغم من أن أزمات الحدود الشرقية لسيناء كانت تمثل ، في جزء كبير منها، صراعاً حول الحد الإداري الفاصل بين سيناء وممتلكات الدولة العثمانية ، فإنها رغم ذلك قد أخذت أبعاداً سياسية تدخلت فيها أطراف أخري غير طرفي النزاع، مما جعل هذه النزاعات تشكل وحدة موضوعية واحدة ، وعلي هذا فقد حمل **الفصل الثالث** عنوان " **أزمات الحدود الشرقية** "، بدأته بتسليط الضوء علي الجذور التاريخية لأزمات الحدود بين مصر والدولة العثمانية متناولاً أسباب كل أزمة ونتائجها، فتحدثت عن أزمة الحدود الأولي عام ١٨٩٢ ، وأزمة الحدود الثانية عام ١٩٠٦ التي بدأت بحادثة المرشش في يناير ١٩٠٦، ثم حادثة طابا (فبراير – أبريل

١٩٠٦) ، وحادثة رفح (أبريل ــ مايو ١٩٠٦) ، ثم الإنذار البريطاني، وأخيراً تشكيل اللجنة المصرية ــ العثمانية لتعيين الحدود ، وقد أوضحت موقف مصر والدولة العثمانية ، والموقف البريطاني تجاه كل أزمة ونتائج تلك الأزمات علي وضع خط الحدود بين مصر والدولة العثمانية .

ولما كانت سيناء ذات أهمية دينية لدي الديانات السماوية الثلاث بصفة عامة ، والديانة اليهودية بصفة خاصة، لارتباطها بموسي عليه السلام ، وطريق خروج بني إسرائيل ، لهذا كانت محط أطماع اليهود الذين كانوايفتقدون إلي الكيان السياسي الذي يجمعهم داخل حدود " دولة " خلال الفترة مجال الدراسة ، فلم تكن سيناء بعيدة عن أعينهم كمحطة يمكنهم من خلالها تشكيل نواة لدولتهم المزمعة في إطار الأفكار اليهودية والصهيونية التي تبللورت خلال القرن التاسع عشر. لهذا جاء **الفصل الرابع** تحت عنوان " **المشروعات اليهودية لاستيطان شبه جزيرة سيناء** "، تناولت فيه مشروع بول فريدمان الذي تم قبيل قيام الحركة الصهيونية بسنوات قلائل ( عام ١٨٩٢ ) ، ومشروع هرتزل لاستيطان العريش عام ١٩٠٣ ، ثم أخيراً مشروع كنزوفيتش عام ١٩٠٨ لاستيطان رفح ، وقد تحدثت عن دوافع كل مشروع ، والظروف التاريخية المصاحبة له ونتائجه.

وقد جلبت الأهمية الاستراتيجية لسيناء وموقعها الفريد ــ كضفة شرقية لقناة السويس من ناحية ، وحداً صحراوياً مانعاً علي حدود مصر الشرقية من ناحية أخري ــ قدراً من المصاعب حيث عانت من ويلات الحرب العالمية الأولي ، حينما صارت مسرحاً للعمليات الحربية ، لهذا جاء **الفصل الخامس** تحت عنوان " **شبه جزيرة سيناء في الحرب العالمية الأولي** " وقد تناولت فيه بالشرح والتحليل وضع سيناء أثناء الحرب ، والمعارك التي دارت علي أرضها باعتبارها أهم مسارح تلك الحرب ، موضحاً تأثير تلك الحرب علي السكان . فتناولت الحملة العثمانية الأولي علي سيناء وقناة السويس عام ١٩١٥ من حيث أسبابها ودوافعها وموقف عربان سيناء منها ، ثم تناولت بالدراسة الحملة العثمانية الثانية عام ١٩١٦ موضحاً الظروف التي أدت إلي تحركها ، وخلال دراستي للحملتين العثمانيتين سلطت الضوء علي المعارك العسكرية ونتائجها علي الأوضاع في سيناء ، وعملية إخلاء سيناء من القوات العثمانية ، وأخيراً تناولت الآثار التي تركتها الحرب علي مجتمع سيناء .

أما **الفصل السادس** والذي يحمل عنوان " **الحيـــاة الاقتصاديـــة فـــي شـــبه ســـيناء** " فحاولت أن أرصد فيه الأنشطة الاقتصادية التي يمارســـها هـــؤلاء انســـكان تحـــت ســـلطة وبصر السلطة المركزية في القاهرة ، وتلـــك التـــي تتـــم بعيـــداً عـــن أعينـــها ، فتنـــاولت ممارستهم لمهنة نقل البضائع والمسافرين عـــبر مصـــر والشـــام والحجـــاز كـــأهم نشـــاط يمارسه غالبية عربان سيناء ، وحرفة صيد الأســـماك والســـمان، ثـــم النشـــاط الزراعـــي ، والنشاط التجاري ، واســـتخراج الفـــيروز والمعـــادن ، وأخـــيراً التـــهريب كمهنـــة كـــان يزاولها قطاع من البدو مستغلين معرفتهم بالطرق والـــدروب البعيـــدة عـــن أعيـــن رجـــال الحدود، بالإضافة إلي بعض الأنشـــطة الأخـــري.

ثم جاء **الفصل السابع** تحت عنوان " **مجتمع شبه جزيـــرة ســـيناء** "، حيـــث يتشـــكل هذا المجتمع في غالبيتـــه مـــن عنـــاصر بدويـــة دائمـــة التنقـــل والترحـــال ، فكـــان مـــن الضروري القيام بدراسة تشريحية لـــهذا المجتمـــع الـــذي صـــاغ تاريخـــها خـــلال الفـــترة موضوع الدراسة ، من خلال دراســـة الـــتركيب الإجتمـــاعي لســـكان ســـيناء ، وتوضيـــح شكل العائلة البدوية ، وتعداد سيناء سكان ، والذي درست فيـــه موقـــف البـــدو مـــن عمليـــة التعداد ، كما تناولت تطور التجمعات الحضرية فـــي ســـيناء كـــالعريش والطـــور ونخـــل ، بالإضافة إلي دراسة طبيعة الصراعات القبليـــة مـــن حيـــث أســـبابها وتأثيراتـــها علـــي الأمن والوضع الجغرافي للقبائل . وأخيراً تناولت تطـــور ديـــر ســـانت كـــاترين كمؤسســـة دينية اجتماعية لعبت دورها بين البدو في الفـــترة مجـــال الدراســـة.

وقد أجابت المصادر علي الكثـــير مـــن التســـاؤلات التـــي أثارتـــها هـــذه الدراســـة ، وكانت أهم تلك المصادر، الوثائق الموجودة بـــدار الوثـــائق القوميـــة بالقـــاهرة ، فـــاعتمدت علي مجموعة وثائق **الإدارة المحلية** لمحافظة العريش ، وأهـــم ســـجلات هـــذه المجموعـــة هي سجلات صـــادر ووارد تحريـــرات محافظـــة العريـــش ، والتـــي تتضمـــن الخطابـــات والتلغرافات والرسائل المرسلة مـــن وإلـــي محافظـــة العريـــش وإداراتـــها المختلفـــة إلـــي النظارات والمديريات والمصالح الحكومية الأخري ، وهـــي مجموعـــة غنيـــة مـــن الوثـــائق توضح سير الحركة علي الحدود وكيفية عمل الجـــهاز الإداري لمحافظـــة العريـــش، كمـــا تلقي الضوء علي حياة العربان القاطنيين علي الحـــدود المصريـــة ــ الشـــامية وأنشـــطتهم الاقتصادية . وتلي هذه المجموعة مـــن حيـــث الأهميـــة ســـجلات كوبيـــا الإدارة بمحافظـــة

العريش . هناك العديد من السجلات من هـذه المجموعـة اعتمـدت عليـها هـذا الدراسـة وقد أثبتها في نهاية هذه الدراسـة .

وتلي مجموعة الإدارة المحلية مـن حيـث الأهميـة سـجلات **محكمـة العريـش** ، وربما أكون أول من اكتشـف هـذه المجموعـة مـن السـجلات ، فـهي سـجلات غنيـة توضح الحياة الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية لسـكان منطقـة العريـش ورفـح والشـيخ زويد ونخيل أبي سقل من البدو والحضـر . وهـذه السـجلات تحـت مسـميات مختلفـة حسب الاختصاص فمنها تحـت عنـوان " سـندات شـرعية " ، و" إعـلام شـرعي " ، وأحكام " وغيرها . واستفادت هذه الدراسـة مـن مجموعـة **محـافظ مجلـس الـوزراء** ، **ومحافظ عابدين** ، والتـي حـوت معلومـات تاريخيـة جديـدة تتعلـق بـالوضع الإداري والاقتصادي والاجتماعي في وسط وجنوب سيناء وديـر سـانت كـاترين .

كما اعتمدت علـي مجموعـة الوثـائق الموجـودة **بـدار المحفوظـات** بالقـاهرة ، وخاصة **ملفات الموظفين** الذين كانوا يعملـون بسـيناء ، وقـد أعطتنـي معلومـات غايـة في الأهمية . هذا بالاضافة إلي الوثائق البريطانية غـير المنشـورة والمنشـورة و هـو مـا أثبته في موضعه وفي قائمة المصـادر .

واعتمدت هذه الدراسة أيضاً علي عدد مـن الدراسـات التـي تنـاولت تـاريخ سـيناء الحديث ، وكان أهمها كتاب نعوم شقير عن تاريخ سـيناء ، وتنبـع أهميتـه مـن أن مؤلفـه كان مشاركاً في صياغة بعض الأحداث التاريخية التـي مـرت بـها سـيناء ، لـهذا جـاءت كتاباته في بعض الأحيان كشاهد عيان علـي الحـدث التـاريخي . وجـاء كتـاب الميجـور جـارفس Jarvis محـافظ سـيناء الإنجلـيزي والـذي يحمـل عنـوان : " Yesterday and Today in Sinai " كشـاهد عيـان آخـر لكنـه لـم يكـن بغـزارة المعلومات التي جاء بها شقير ، إلا أنه كان مهتماً برصد عـادات وتقـاليد البـدو ومـن ثـم جاءت كتاباته عنهم غاية في الأهمية ، وقـد جـاءت كتاباتـه تتضمـن آراءاً مهمـة حـول عادات وتقاليد البدو ودور السلطات المحلية في مكافحـة التـهريب ومطـاردة الجـراد خـلال الفترة التي تولي فيها إدارة سيناء . هذا بالإضافـة إلـي عـدد مـن المصـادر والدراسـات الحديثة مما هو مثبت في قائمة المصادر فـي نهايـة الدراسـة .

وأخيراً فانني مدين لأستاذتي الدكتورة **لطيفة محمد سالم** لما قدمته لي ، وبلا ملل ، من عون وتوجيهات وملاحظات خلال مراحل الدراسة المختلفة ، فأحسب أنني تعلمت منها أسس المنهج العلمي الدقيق ،فجزاها الله عني كل خير . أما الأستاذ الدكتور **حماده اسماعيل** فليس هناك من كلمات يمكن أن أصفه بها ، فهو مثال للتواضع العلمي، حيث كان يتعامل مع الباحث ليس بصفته العلمية ، وإنما بما هو أقوي من روابط الأخوة ، فجزاهما الله عني كل خير .

والله ولي التوفيق ،،،

صبري العدل

القاهرة في ١٠ / ٥ / ٢٠٠٢